

10232 - حكم الدعوة إلى تقارب الأديان

السؤال

إننا في أمريكا نحاول بذل ما نستطيعه للدعوة إلى الله على منهج السلف الصالح ، وفي الآونة الأخيرة طرأ أمر خطير هام ، وهو انتشار لجنة التقارب بين الديانات السماوية الثلاثة : (الإسلام ، والمسيحية ، واليهودية) يرسل مبعوث من كل فئة من هذه الأديان ؛ لمحاولة إغلاق الفجوة بين هذه الأديان الثلاثة والتقارب بينها ، ويجتمعون في الكنائس والمعابد اليهودية ، بل ويصلون صلاة مشتركة ، كما فعلوا حين حصلت مجزرة الخليل في فلسطين ، ويحضر الاجتماع عدد لا يستهان به من أصحاب الأديان الثلاثة .

والسؤال هو : إنه يُمَثَّل المسلمون علماء - أو من هم محسوبون على أهل العلم - ، وقد حدث بيننا مشادة في حكم الاجتماع في مثل هذه الاجتماعات ، حتى إن علماء المسلمين يصافحون ويعانقون القساوسة والرهبان ، وليس هناك مجال للدعوة في مثل هذه الاجتماعات ، بل هي على اسم اللجنة لتقارب الأديان الثلاثة ، فهل يجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يجتمع في مثل هذه الاجتماعات ، ويدخل الكنائس والمعابد اليهودية ، بل يسلم ويعانق قسيساً أو راهباً ؟ وللعلم : فقد انتشر هذه الأمر على مستوى أمريكا ، فنرجو أن ترسلوا لنا الحل ؛ لأننا رضينا بك حكماً بيننا لإخماد الفتنة على مستوى أمريكا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

بعد دراسة اللجنة للاستفتاء ، أجابت بما يلي :

أولاً : أصول الإيمان التي أنزل الله بها كتبه على رسله - التوراة والإنجيل والقرآن ، والتي دعت إليها رسله عليهم الصلاة والسلام : إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء والمرسلين - كلها واحدة ، بشر سابقهم بلاحقهم ، وصدق لا حقهم بسابقهم ، وأيده ونوه بشأنه ، وإن اختلفت الفروع في الجملة حسب مقتضيات الأحوال والأزمان ومصالحة العباد ، حكمة من الله وعدلاً ورحمة منه سبحانه وفضلاً ، قال الله تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) وقال تعالى : (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً) ، وقال تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق

النبیین لما آتیتم من کتاب وحکمة ثم جاءکم رسول مصدق لما معکم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم علی ذلکم إصری قالوا أقرنا قال فاشهدوا وأنا معکم من الشاهدین * فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون * أفغیر دین الله یغون وله أسلم من فی السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإلیه ترجعون * قل آمنا بالله وما أنزل علینا وما أنزل علی إبراهیم وإسماعیل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتی موسى وعیسی والنبیون من ربهم لا نفرق بین أحد منهم ونحن له مسلمون * ومن یتغ غیر الإسلام دیناً فلن یقبل منه وهم فی الآخرة من الخاسرین) وقال تعالی بعد ذكره دعوة خلیله إبراهیم إلی التوحید ، وذكر من معه من المرسلین : (أولئك الذین آتیناهم الکتب والحکم والنبوة فإن یكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً لیسوا بها بکافرین * أولئك الذین هدی الله فبهدهم اقتده قل لا أسألکم علیه أجرأ إن هو إلا ذکرى للعالمین) ، وقال تعالی : (إن أولى الناس بإبراهیم للذین اتبعوه وهذا النبی والذین آمنوا والله ولی المؤمنین) ، وقال : (ثم أوحینا إلیک أن اتبع ملة إبراهیم حنیفاً وما کان من المشرکین) ، وقال : (وإذ قال عیسی ابن مریم یا بنی اسرائیل إني رسول الله إلیکم مصدقاً لما بین یدی من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) ، وقال تعالی : (وأنزلنا إلیک الکتاب بالحق مصدقاً لما بین یدی من الکتب ومهیماً علیه فاحکم بینهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) الآیات .

وثبت عن النبی صلی الله علیه وسلم أنه قال : " أنا أولى الناس بعیسی ابن مریم فی الدنيا والآخرة ، والأنبیاء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد " رواه البخاري .

ثانياً : حرّف اليهود والنصارى الکتب عن مواضعه ، وبدلوا قولاً غیر الذي قيل لهم ، فغیروا بذلك أصول دینهم ، وشرائع ربهم ، من ذلك قول اليهود : (عزیر ابن الله) وزعمهم أن الله مسه لغوب ، وأصابه تعب من خلق السموات والأرض وما بینهما فی ستة أيام ، فاستراح یوم السبت ، وزعمهم أنهم صلبوا عیسی علیه السلام وقتلوه ، ومن ذلك أنهم أحلوا الصيد یوم السبت بحیلة ، وقد حرّمه الله علیهم ، وأنهم ألغوا حد الزنا ، ومن ذلك قولهم : (إن الله فقیر ونحن أغنیاء) ، وقولهم : (ید الله مغلولة) ، إلی غیر ذلك من التحریف والتبديل القولي والعملی عن علم ؛ اتباعاً للهوى ، ومن ذلك زعم النصارى أن المسیح عیسی علیه السلام ابن الله ، وأنه إله مع الله ، وتصدیقهم لليهود فی زعمهم أنهم صلبوا عیسی علیه السلام وقتلوه ، وزعم كل من الفريقین أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وكفرهم بمحمد صلی الله علیه وسلم ، وبما جاء به ، وحقدهم علیه وحسدھم إياه من عند أنفسهم ، وقد أخذ الله علیهم العهد والميثاق أن يؤمنوا به ویصدقوه وینصروه وأقروا علی أنفسهم بذلك . إلی غیر ذلك من فضائح الفريقین وتناقضهم ، وقد حکى الله الكثير من کذبهم وافترائهم وتحریفهم وتبديلهم ما أنزل إلیهم من العقائد والشرائع ، وفضحهم الله ، ورد علیهم فی محکم کتابه ، قال الله تعالی : (فویل للذین یکتبون الکتاب بأیدیهم ثم یقولون هذا من عند الله لیشتروا به ثمناً قليلاً فویل لهم مما کتبت أیدیهم وویل لهم مما یکسبون * وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أخذتم عند الله عهداً فلن یخلف الله عهدہ أم تقولون علی الله ما لا تعلمون) الآیات ، وقال تعالی : (وقالوا لن یدخل الجنة إلا من کان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانکم إن کنتم صادقین) الآیات ، وقال تعالی : (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا

قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين * قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (الآيات ، وقال تعالى : (وإن فريقاً منهم ليبلوون ألسنتهم بالكتب لتحسيبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) الآيات ، وقال تعالى : (فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً * وكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً * وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً) الآيات ، وقال تعالى : (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق) الآيات ، وقال تعالى : (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون * اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم) الآيات ، وقال تعالى : (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) إلى غير ذلك مما لا ينقصي منه العجب من افتراءهم وتناقضهم ومخازيهم وفضائحهم والقصد ذكر نماذج من أحوالهم ليبنى عليها الجواب فيما يأتي .

ثالثاً : مما تقدم يتبين أن أصل الديانات التي شرعها الله لعباده واحد لا يحتاج إلى تقريب ، كما يتبين أن اليهود والنصارى قد حرفوا وبدلوا ما أنزل إليهم من ربهم ، حتى صارت دياناتهم زوراً وبهتاناً وكفراً وضلالاً ، ومن أجل ذلك أرسل إليهم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ولغيرهم من الأمم عامة ؛ ليبين ما كانوا يخفون من الحق ويكشف لهم عما كتموه ، ويصحح لهم ما أفسدوا من العقائد والأحكام ويهديهم وغيرهم إلى سواء السبيل ، قال الله تعالى : (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه دار السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم) ، وقال : (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير) ، لكنهم صدوا عن الحق وأعرضوا عنه بغياً وعدواناً وحسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، قال الله تعالى : (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) وقال : (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) الآيات ، وقال : (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) الآيات ، وقال : (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البيعة * رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة) الآيات .

فكيف يرجو عاقل يعرف إصرارهم على الباطل وتماديهم في غيهم عن بيعة - وعلم حسداً من عند أنفسهم واتباعاً للهوى -

التقارب بينهم وبين المسلمين الصادقين ، قال الله تعالى : (أفنطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) الآيات ، وقال : (إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم * ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) ، وقال سبحانه : (كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين) الآيات .

بل هم إن لم يكونوا أشد من إخوانهم المشركين كفراً وعداوة لله ورسوله والمؤمنين فهم مثلهم ، وقد قال الله تعالى : (فلا تطع المكذبين * ودوا لو تُدْهِن فَيُدْهِنُونَ) الآيات ، وقال له : (قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين) .

إن من يُحَدِّث نفسه بالجمع أو التقريب بين الإسلام واليهودية والنصرانية كمن يجهد نفسه في الجمع بين النقيضين بين الحق والباطل ، والكفر والإيمان ، وما مثله إلا كما قيل :

أيها المنكح الثريا سهيلاً **** عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت **** وسهيل إذا استقل يمان

ثم إن دين اليهود والنصارى قد نسخه الله ببعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وأوجب الله على جميع أهل الأرض اتباعه من يهود ونصارى وغيرهم ، قال تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذين يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون * قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) ، فإذا بقوا على دينهم وهم منسوخ فهو تمسك بالباطل وبغير دين ؛ فلا يجوز للمسلمين أن يتقاربوا معهم ؛ لأن في التقارب معهم إقرار لهم على الباطل من ناحية ، وتغريباً بالجهال من ناحية أخرى ، والواجب فضح باطلهم كما فضحهم الله في القرآن . والله أعلم .

رابعاً : لو قال قائل : هل تمكن الهدنة بين هؤلاء أو يكون بينهم عقد صلح ؛ حقناً للدماء واتفاءً لويلات الحروب ، وتمكيناً للناس من الضرب في الأرض ، والكد في الحياة لكسب الرزق ، وعمارة الدنيا والدعوة إلى الحق وهداية الخلق ؛ إقامة العدل بين العالمين - لو قيل ذلك لكان قولاً متجهاً وكان السعي في تحقيقه سعيًا ناجحاً ، والقصد إليه قصدًا نبيلاً ؛ لإمكانه ، وعظيم أثره

. لكن يكون ذلك عند عدم إمكان أخذ الجزية ؛ لقول الله عز وجل في سورة التوبة : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ، مع المحافظة على إحقاق الحق ونصره فلا يكون ذلك على سبيل مهادنة المسلمين للمشركين ، وتنازلهم عن شيء من حكم الله ، أو شيء من كرامتهم وهوانهم على أنفسهم ، بل مع الإبقاء على عزتهم والاعتصام بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، والبغض لأعداء الله وعدم موالاتهم ؛ عملاً بهدي القرآن ، واقتداءً بالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، قال الله تعالى : (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم) الآيات ، وقال تعالى : (فلا تهنأوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم) .

وقد فسّر ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك عملياً ، وحققه مع قريش عام الحديبية ، ومع اليهود في المدينة قبل الخندق ، وفي غزوة خيبر ، ومع نصارى الروم في غزوة تبوك ؛ فكان لذلك الأثر العظيم والنتائج الباهرة من الأمن وسلامة النفوس ، ونصرة الحق ، والتمكين له في الأرض ، ودخول الناس في دين الله أفواجاً ، واتجاه الجميع للعمل في الحياة لدينهم ودنياهم ، فكان الرخاء والازدهار وقوة السلطان وانتشار الإسلام والسلام ، وفي التاريخ وواقع الحياة أقوى دليل وأصدق شهيد على ذلك لمن أنصف من نفسه أو ألقى سمعه واعتدل مزاجه وتفكيره وبرئ من العصبية والمراء ، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، والله الهادي إلى سواء السبيل ، وهو حسينا ونعم الوكيل .